الباب الثاني
من قضايا الخلاف في ضوء المنهج المقارن

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

في قيم الصوت الصرفية والدلالية

ويتعرض للموضوعات التالية :

أولا : الصوت المفرد و أثره في دلالة الكلمة .

ثانيا : البنية الصرفية و علاقتها بالدلالة.

ثالثا : اسم الفعل و علاقته بالأصوات .

obeikandl.com

أصل الخلاف :

اختلف أبو جعفر اللبلي في تحفة المجد الصريح مع ما توصل إليه ابن جني في الخصائص ، يقول : " و جاء ابن جني في الخصائص و أبدى بزعمه حكمة في استعمالهم القضم لليابس و الخضم للرطب . و قال اختاروا الخاء لرخاوتها للرطب و القاف لصلابتها لليابس ، و ذكر أشياء من هذا النحو مما حاكت فيه المعاني بالألفاظ " [1] .

في حين بدا شيخه البطليوسي موافقا لابن جني في رؤيته : " فقال أبو محمد بن السيد : لعمري إن العرب ربما حاكت المعنى باللفظ الذي هو عبارة عنه في بعض المواضع ، ويوجد تارة ذلك في صيغة الكلمة وتارة في إعرابها .فأما في الصيغة فقولهم للعظيم الرقبة : رقباني والقياس رقبي ، وللعظيم اللحية : لحياني ، والقياس لحيّ ،... فزادوا في الألفاظ على ما كان ينبغي أن تكون عليه كما زادت المعاني الواقعة تحتها . وكذلك يقولون صر الجندب : إذا صوت صوتا لا تكرير فيه ، فإذا كثر الصوت قيل : صرصر"[2]. ولكن يعود البطليوسي ليتراجع عن التعميم " قال أبو محمد : ولكن هذا قياس غير مطرد ، ألا تراهم قالوا : أسد وعنكبوت فجعلوا اللفظين مخالفين للمعنيين ، ... فإذا كان الأمر على هذا السبيل ، كان التشاغل بما تشاغل به ابن جني عناء و لا فائدة فيه " [3] .

و يرفض اللبلي هذا الأمر و يصفه بالبرود و السخافة ففي موضع آخر من تحفته " قال الشيخ أبو جعفر : قال القزاز : و قد فرقوا بينهما ، فقالوا : حلا الشيء في فمي يحلو و حلي بعيني و قلبي يحلى . قال الشيخ أبو جعفر : قال ابن جني في المحتسب : اختاروا البناء للفعل حلا على (فعَل) فيما كان لحاسة الذوق لتظهر فيه الواو ، و على (فعِل) في حلي يحلى لتظهر الياء و الألف لأنهما خفيفتان ضعيفتان إلى الواو لأن حاسة النظر أضعف من حاسة التذوق . قال الشيخ أبو جعفر : ما أبرد هذا التعليل و أسخفه!" [4] .

---

[1]- تحفة المجدالصريح في شرح كتاب الفصيح القسم الأول , أبو جعفر اللبلي , 140

[2] تحفة المجدالصريح , 140

[3]- تحفة المجدالصريح ,140 - 141

[4]- تحفة المجدالصريح , 388

و يطرح اللبلي **أمرا آخر** يرتبط بدلالة البنية الصرفية و الوزن الصرفي " قال المرزوقي : و بعض الناس يحملون ململمته الحمى على الفراش أيضا فتململ على هذا [يقصد من الملة : النار و الحرق] و يقول أصله : مللته ، قال و اصحابنا البصريون يجعلونه بناء على حدة و إن كان مؤديا لمعناه ، كرقرقت و رققت " [1] .

و تشير هذه الفقرة إلى موضع خلافي آخر في رؤيتهم حول الفارق الدلالي و الصرفي بين صيغتي فعَّل و فعلل حيث رأى بعضهم أن (ململ) صور متطورة عن (ملَّل) مع زيادة في المعنى في الصيغة الثانية يظهر من قوله " ململته الحمى على الفراش " و ما تحمله من دلالة حركية و نفسية ، في حين يراهما البصريون بناءين مستقلين و إن كانا يحملان نفس الدلالة .

و الأمر الثالث الذي يثير قضية خلافية بين القدماء من حيث الربط بين الصوت و البنية الصرفية و الدلالة هو بعض صيغ أسماء الأفعال حيث يأخذ ابن درستويه على ثعلب في كتابه (الفصيح) وضعه بعضا من (أسماء الأفعال) في باب المصادر يقول : " و أما قوله للرجل إيهٍ ، حدثنا إذا استزدته ، و إيهًا : كف عنا ، إذا أمرته أن يقطعه ، و ويهًا إذا زجرته عن الشيء و أغريته به ، و واهًا له ، إذا تعجبت منه فليس شيء من هذه الكلمات بمصدر ، و لا هو داخل في باب المصادر ، و لكنها أسماء للأمر و النهي و نحوهما يُستغنى بها عن الأفعال ، و تجري مجرى حروف المعاني لا حظ لها في شيء من الإعراب ، لأنها غير متمكنه في الاسمية أوهي بمنزلة صهْ ، و مهْ ، و ليس لها أفعال تتصرف منها ، و لكنها حكايات لأصوات و زجر " [2] .

و يختلف ابن درستويه مع ثعلب أيضا في دلالة بعض هذه الكلمات حيث يقول : " و لا تكون « ويه » زجرا كما قال ، و إنما هي حضٌ لا غير ، و أما قوله واها ، فإنما يقال بالواو كما ذكر ، و يقال بهمزة : آها ، و واها . و قد يبنى على الكسر فيقال : آهٍ و تكون منونة لا غير ، و هي موضوعة لحكاية التلذذ

[1]- تحفة المجدالصريح , 407 / 408
[2]- تصحيح الفصيح ، لابن درستويه , 246

obeikandi.com

للشيء ، و استطابته و التلهف عليه عند فوته ، و ليست للتوجع على ما ذكر ... و ليست هذه من أسماء الأمروالنهي ولكنها حكاية صوت المتلهف والمتفجع " [1] .

و يظهر الخلاف بين ابن درستويه و ثعلب فيما يلي :

– مجموعة ما يسمى بأسماء الأفعال جعلها ثعلب في باب المصادر و لكن ابن درستويه وصفها بأنها أسماء مبنية غير متمكنة في الاسمية و ليست لها أفعال تتصرف منها .

– بعض هذه الكلمات ليست أسماء و لكنها حكاية صوت .

***

وعليه يمكن حصر المعطيات السابقة لتلك القضية الخلافية في ثلاثة مواضع :

1- خلافهم حول قيمة الصوت المفرد في دلالة الكلمة والتفاوت في الدلالة بين الصوتين المتقاربين .

2- خلافهم حو أثر الفارق بين صيغتي (فعّل و فعلل) من الناحية الدلالية .

3- خلافهم حول أصل وضع بعض أسماء الأفعال : هل لها أفعال تتصرف منها أم أنها مجرد حكاية صوت .

آراء القدماء :

يؤكد أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب " أن هذه الفكرة قد وجدت عند قدامى النحويين و اللغويين قبل ابن جني لأنه يرجع في هذا الباب إلى بعض آراء الخليل و سيبويه ، فهو يروي عن الخليل أن العرب قالوا في الدلالة على صوت الجندب « صَرّ » لأنه في صوته امتداد و استطالة أما البازي فدلت العرب على صوته بالفعل « صرصر » لأن فيه تقطيعا و عدم استمرار " [2] . و من إشارات سيبويه لتلك

[1]- تصحيح الفصيح ، لابن درستويه 247

[2]- بحوث و مقالات في اللغة ، رمضان عبد التواب 19 ، وانظر : العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدى ، بتحقيق د. مهدى المخزومى ، د. إبراهيم السامرائى ، 7 / 81 , وقد أشار ابن جني لسابقيه عندما قال : " اعلم أن هذا موضع شريف لطيف و قد نبه عليه الخليل و سيبويه و تلقته الجماعة بالقبول له و الاعتراف بصحته " . انظر : الخصائص 2 / 152 .

القضية " في المصادر التي جاءت على الفَعَلان أنها تأتي على الاضطراب و الحركة نحو ، النقزان و الغليان فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال " [1] .

و إذا ما عدنا لابن جني وجدناه قد فصل القول كثيرا فعرض لموضوعات عديدة منها " باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني " [2] و " تقارب الحروف لتقارب المعاني " [3] ، و باب في " إمساس الألفاظ أشباه المعاني " [4] ، حيث أشار إلى أن الأصل في الأمر هو قضية نشأة اللغة المسماة بـ« محاكاة الأصوات » يقول ابن جني :" و ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء .. ونعيق الغراب ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، و هذا عندي وجه صالح و مذهب متقبل " [5] .

و في ربطه بين الصوت و الدلالة يقول ابن جني : " إن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها " [6] ، و جاء بأمثلة عبقرية كثيرة دلل فيها على العلاقة بين الصوت و المعنى ، حيث يقول : " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها فباب عظيم واسع ... و ذلك أكثر مما نقدره و أضعاف ما نستشعره " [7] .

و من أمثلة ما ذكره في تأثير البنية " أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلا على تكرير الفعل فقالوا : كسّر ، وقطّع ، وفتّح ... و ذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل " [8] . كما أشار أيضا إلى البنية المضاعفة و علاقتها بالمعنى ، فيقول : " تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة ، والقلقلة ، والصلصلة ... و وجدت أيضا (الفَعَلَى) في المصادر و

[1]- الخصائص ، 2 / 152
[2]- الخصائص ، 2 / 145
[3]- الخصائص ، 2 / 146
[4]- الخصائص ، 2 / 152
[5]- الخصائص ، 1 / 46 – 47
[6]- الخصائص ، 1/ 65
[7]- الخصائص ، 2 / 157
[8]- الخصائص ، 2 / 155 / المنصف فى شرح تصريف المازنى ، لابن جنى1 / 91

الصفات إنما تأتي للسرعة نحو البَشكي والجَمَزَى ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر ... و المثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات منها " [1] .

وكان ابن دريد (ت 321 هـ) قد سبق في الجمهرة بطرح باب : الثنائي الملحق ببناء الرباعي المكرر ، جاء فيه بعدد من المصادر الرباعية ، جميعها بلا استثناء تحمل واحدة من دلالتين إما حركية أو صوتية ، ونستشهد بشيء من ذلك :

– البحبحة : الاتساع ، الحبحب : جري الماء قليلا قليلا ، البخبخة : حكاية الفحل الهائج ، الدبدبة : حكاية صوت عربي صحيح ، الذبذبة : الاضطراب ، البربرة : كثرة الكلام ، البزبزة : كثرة الحركة والاضطراب ، البعبعة : تتابع الكلام في عجلة ، البلبلة : الحركة والاضطراب ، كبكبت الشيء : إذا ألقيت بعضه على بعض ، البكبكة : الازدحام ، تبكبك القوم على الشيء إذا ازدحموا عليه ، ويقال سمعت بقبقة الماء : إذا سمعت حركته ، البهبهة : حكاية هدير الفحل ومن مقلوبه الهبهبة : **السرعة** والخفة.[2]

ومن ذلك أيضا : الزمزمة : زمزمة المجوس وأصل الزمزمة الكلام الذي لا يفهم . الزغزغة : الخفة والنزق ، الزفزفة : صوت حفيف الريح ، الوسوسة : سمعت وسوسة الشيء إذا سمعت حركته ، الهسهسة : وهو حديث النفس ، وعسعست السحابة إذا دنت من الأرض ، وشغشغ السنان في الطعنة إذا حركه ليتمكن [3].

و لو قصرنا أمثلة اللبلي بصفة خاصة على (قضم وخضم وحلا وحلي وملل وململ وبعض أسماء الأفعال) تجد آراء ابن جني حولها توضح خلافا قائما بالفعل بين اللغويين الأقدمين ، ففي لسان العرب " قيل الخضم الأكل بأقصى الأضراس و القضم بأدناها و قيل الخضم أكل الشيء الرطب خاصة

[1]- الخصائص ، 2 / 153

[2] - انظر : جمهرة اللغة ، لابن دريد 1 / 173 – 177 .

[3] - انظر : جمهرة اللغة ج 1 / 201 – 206 .

... و قيل الخضم للإنسان بمنزلة القضم من الدابة " [1] ، و حول المادة الثانية جاء في لسان العرب قول" الليث : قال بعضهم حلا في عيني و حلا في فمي ... و حلي بصدري ... الأصمعي : حلي في صدري يحلى و حلا في فمي يحلو ... إلا أنهم يقولون هو حلو في المعنين"[2].

و يطرح ابن منظور رأيا خلافيا جديدا حول المادة حيث " قال قوم من أهل اللغة ليس حلي من حلا في شيء ، هذه لغة على حدتها كأنها مشتقة من الحلي الملبوس . لأنه حسن في عينيك كحسن الحلي ، و هذا ليس بقوي ولا مَرْضي " [3] . و جاء في ملل " مل وتملل الرجل وتململ تقلب ، أصله تملل ففك بالتضعيف و مللتُه أنا قلبته ... إذا بنا بالرجل مضجعه من غم أو وصب قيل : قد تململ و هو تقلبه على فراشه ، قال : و تململه و هو جالس أن يتوكأ مرة على هذا الشق و مرة على ذاك و مرة و هو يجثو على ركبتيه " [4] و يتضح لنا أن الخلاف قائم بالفعل بين اللغويين القدماء .

و كان ابن سينا قد أضاف قيما دلالية لطريقة خروج الأصوات عندما أشار إلى توافق نطق الأصوات العربية مع بعض الأصوات الطبيعية و لو أخذنا (القاف و الخاء) مثالين لدى ابن سينا نجده يشبه خروج صوت الخاء بالصوت الخارج " من حك كل جسم لين حكا كالقشر بجسم صلب " [5] ، و هي تشبه القيمة الدلالية التي أقرها ابن جني في (الخضم) ، أما القاف عند ابن سينا فتشبه الصوت الخارج"عن شق الأجسام و قلعها دفعة "[6] ، و هو يشبه القيمة الدلالية (لقضم اليابس) عند ابن جني .

وورما ربط الجاحظ أيضا بين اللفظ و المعنى عندما قال"إني أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع وربما أقنع بأكثر من إقناع الجزل من الألفاظ"[7] . كذلك نجد السيوطي (ت 911 هـ) قد وافق ابن جني فيما ذهب إليه " فقد أكد هذا العالم

[1]- لسان العرب لابن منظور / خضم
[2]- لسان العرب / حلا
[3]- لسان العرب / حلا
[4]- لسان العرب / ملل
[5]- أسباب حدوث الحروف ، لابن سينا 93
[6] - أسباب حدوث الحروف ، 93
[7]- البيان والتبيين للجاحظ 1 / 145

الجليل المتأخر إذن – بعد استيعابه مؤلفات اللغويين السابقين التي فقد الكثير منها – أن أهل اللغة بوجه عام و العربية بوجه خاص قد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة الطبيعية بين الألفاظ و المعاني ، وبذلك تلاقى مع ابن جني على صعيد واحد " [1] .

و من أشهر القدماء اللذين قبلوا نظرية القيمة الدلالية للصوت المفرد ، أو البنية ، عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة " و يرددون عن بعض من تابعه على رأيه هذا أنه كان يقول ، إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها ، فسئل عن معنى كلمة (إذغاغ) و هي بالفارسية الحجر ، كما يقولون ، فقال : أجد فيه يبسا شديدا و أراه الحجر!" [2] .

***

آراء المعاصرين :

تقودنا هذه القضايا و مثيلاتها إلى بعض نظريات نشأة اللغة في العصر الحديث وأهمها : نظرية المحاكاة ، ونظرية الغناء ، ونظرية المؤثرات الخارجيةDing – Dong ، والنظرية الغريزية.

و يرى القائلون بنظرية المحاكاة " أن اللغة قد نشأت في البداية عن محاكاة أصوات الطبيعة ، وذلك بأن يقلد الإنسان الصوت الذي يسمعه للتعبير عن مصدر هذا الصوت أو صفة من صفاته " [3] ، و هو ما أشار إليه ابن جني أيضا في خصائصه [4] ، وتشبه نظرية المحاكاة نظرية الغناء الفطري ذي الإيقاع الرتيب الذي تحول إلى لغة في نهاية الأمر [5] . و نظرية المؤثرات الخارجيةDing – Dong يرى أصحابها أن " هناك صلة وثيقة بين ما ينطق به المرء من أصوات و بين ما يدور في خلجه من أفكار " [6] . و هي تقترب من نظرية الغريزة التي تشير إلى أن " اللغة الإنسانية الأولى نشأت من صيحات مصدرها

[1]- دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح 151
2- بحوث و مقالات في اللغة ، رمضان عبد التواب ، 18 / وانظر : المزهر ، 1 / 47
3- مقدمة في فقه اللغة ، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، 189 / في علم اللغة ، غانم المطلبي ، 97 / بحوث و مقالات في اللغة , رمضان عبد التواب ، 17 / وانظر : دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح 148.
[4]- الخصائص 1/ 47
[5]- مقدمة في فقه اللغة ، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، 21
[6]- مقدمة في فقه اللغة ، 20

الغريزة الإنسانية "[1] . و تعرف أيضا بنظرية Pooh - Pooh و تشير إلى " أن هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة و يشير أصحاب هذه النظرية إلى اشارات التعبير الطبيعي عن الانفعالات،وكيف أن الأصوات الغريزية تحولت إلى عناصر صوتية ذات دلالات مجردة "[2] .

و من المعاصرين عدد غير قليل وافقوا ابن جني ونظريته وان لم يثبتوا بالبحث العلمي الدقيق والشامل صدق هذه النظرية صدقا مطلقا ، يشير إلى ذلك د. محمد المبارك بقوله : " نرى الأمثلة التي قدمناها والتي قدمها الباحثون في هذا الباب لا تكفي لاستنتاج قانون عام يشمل ألفاظ العربية كلها ولكنه طريق ينبغي أن يشق ، وباب ينبغي أن يفتح ولا ريب عندي أن متابعة التحري والبحث في هذا الاتجاه سيؤدي إلى نتائج عظيمة في تاريخ الكلم العربي "[3] .

ومن علماء العرب المعاصرين الذين قبلوا هذا الإتجاه عدد غير قليل ، كان أبرزهم عبد الله العلايلي و منهم أيضا جرجي زيدان ، وأحمد أمين ، ود. محمد المبارك ، ود. صبحي الصالح ، ود. سعيد الأفغاني . كذلك نجد من تقبل هذا الاتجاه من علماء الغرب أبرزهم همبلت الذي توفى 1835 Humbolt فقد كان من أوائل المتصدين لفكرة الصلة العقلية بين الأصوات والمدلولات حتى أوائل القرن التاسع عشر[4] .

ولبعض المستشرقين إشارات تشير إلى قبولهم الفكرة في بعض المواضع أمثال موسكاتي Moscatti ، ولاندزبرج Landsberg ، وبارتين Bartin ، وبارث Barth ، وهورويتز Hurwitz .

[1]- مقدمة في فقه اللغة ، 20
[2]- في علم اللغة ، غالب المطلبي , 96 - 97
[3]- فقه اللغة وخصائص العربية, 105
[4]- أنظر من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس 143

يقول جرجي زيدان : " فمن الأصوات الاضطرارية و الاختيارية تتألف اللغة الطبيعية الصوتية ، وهي في هذه الحالة بسيطة البناء للغاية قليلة الالفاظ يمكن حصول التفاهم بها بين كل البشر كما هو الحال في اللغة الطبيعية الإشارية " [1] . كذلك يرى أن " لغتنا مهما تعددت ألفاظها و تنوعت دلالاتها وكثرت ترادفاتها ... لا تخرج عن كونها نشأت من أصول قليلة العدد بسيطة البناء معظمها مأخوذ عن الأصوات الخارجية تقليدا و بعضها عن الأصوات الطبيعية التي ينطق بها الإنسان غريزيا"[2]

و إذا ما واجهتنا ألفاظ لا نستطيع ربطها بتلك النظرية كان ابن جني قد وجد العلة في هذا عندما أجاب " نعم ، و قد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عنا " [3] .

كذلك جرجي زيدان يفسر لنا عدم إمكاننا رد جميع هذه الألفاظ إلى أصوات تحاكي أصواتا طبيعية فسببه " أولا : ما قد طرأ على اللغة من التغيير دلالة و لفظا ، ثانيا : ما فقدته من الالفاظ التي هي حلقات ضرورية للاستقراء " [4] .

وأيضا أحمد أمين الذي رأى أن العلة في ذلك هو التوسع في اللغة حسب ما يجدّ من المعاني [5] في حين دعا د. صبحي الصالح إلى ضرورة معرفة المناسبة الذاتية لنشأة اللفظ الأولي حيث " إن لكل لفظ نشأة و ميلادا و إن في كل لفظ اشتقاقا وتوليدا ، و إن المناسبة الذاتية لا تلتمس إلا في اللفظ عند نشأته الأولى ، ولا يخفى حينئذ على الباحث اللغوي أن المناسبة الأخيرة لم تنشأ مع اللفظ و لم تحضر ميلاده ، بل اكتسبت إيحاءها و دلالتها من كثرة الاستعمال " [6] و تتطور دلالة الألفاظ بعد ذلك و تلعب طرق المجاز دورا في هذا التطور [7] .

---

[1]- الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية ، 80
[2]- الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية ، 97
[3]- الخصائص 1/ 66
[4]- الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية ، 97
[5]- انظر : مدرسة القياس في اللغة ، ج7 / 357
[6]- دراسات في فقه ، اللغة ، صبحي الصالح 169
[7]- انظر: دراسات في فقه ، اللغة ، 146

و من الأمثلة التي ساقها جرجي زيدان ليدلل على صدق النظرية أن " دق حكاية صوت الحجارة إذا قرعت بعضها على بعض وقط حكاية صوت القطع و قعقعة الرحى وجعجعتها و (طن) و (دن) حكاية صوت الجرس إذا قرع و (رش) أو (دش) حكاية صوت الماء إذا رش ... و قد دعى المصريون القدماء مركبتهم (أوررث) و هو حكاية صوت جريانها " [1].

و يرى أحمد أمين أن " اللغة عند حدوثها الأول كانت أصواتا يحدثها المتكلم حاكيا للأصوات المسموعة ثم صارت تلك الأصوات المحكية علامة لما يسمع بالأذن أو يبصر بالعين ، أو يلمس باليد ، أو يشم بالأنف أو يعقل بالعقل " [2] . و مثلما رأى ابن جني في قيمة الأصوات الدلالية يرى أحمد أمين قيما دلالية للأصوات " فحرف السين أساسي في كلمة التنفس والحس واللمس لأنه يتخيل في مدلولها صوت السين عند الاحتكاك ، وحرف الراء هو الأساس في الجر والنشر والنحر والبذر لأنه يتخيل في هذه الأشياء كلها صوت الراء " [3].

و التعصب للعربية والجنس الناطق بها كان من أسباب رؤية أحمد أمين فالأمر في ذلك عنده مرده إلى ذوق العربي و حسه في وضع الكلمات " و إن لم يصرح العرب به فقد كان مركوزا في طبيعتهم مندسا في أذواقهم ، يعتمدون عليه في وضع الكلمات والاشتقاق منها فمن بلغ في قوة الحس مبلغهم و من دقة الملاحظة دقتهم كان له بمقتضى القياس مثل ما لهم " [4] .

و يرى د. محمد المبارك " أن في اللغة العربية خصيصة تبهر الناظرين ، وتلفت نظر الباحثين و هي تقابل الأصوات و المعاني في تركيب الألفاظ ، وأثر الحروف في تقوية المعنى " [5] . و مثلما أشار أحمد أمين إلى دور الذوق العربي في هذا الأمر يشير د . محمد المبارك إلى دور عقلية أصحاب اللغة و عاداتهم في انتقاء التسمية بلفظ دون غيره ويقول : " إن الصلة قوية بين مفردات اللغة و عقلية أصحابها و عاداتهم ،

[1]- الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية ، 80
[2]- مدرسة القياس في اللغة ، أحمد أمين , مجلة مجمع اللغة العربية ج7/ 356
[3]- مدرسة القياس في اللغة ، ج7/ 357
[4]- مدرسة القياس في اللغة ، ج7/ 358
[5]- فقه اللغة و خصائص العربية ، محمد المبارك 105

فالألفاظ العربية تدل على تفكير العرب و نظرتهم إلى الأشياء ، ذلك أن في تسميتهم لها باسم بعينه و في إطلاق لفظ دون غيره واختيار صفة من صفاته ما يدل على اتجاههم في التفكير و فهمهم للأشياء و نظرتهم لها " [1].

و قد قدم د.محمد المبارك و غيره العديد من الألفاظ العربية يريدون من خلالها تأييد مذهب ابن جني في القول بدلالة الصوت المفرد ، أو الصيغ الصرفية و كان مما قدمه أن حرف الغين يدل على الاستتار و الغيبة و الخفاء في كثير من المواد مثل غاب ، غار ، غاض ، غال ، غام ... و حرف الراء يدل على التكرار و الاستمرار بطبيعته الصوتية ، وحرف القاف يتضمن معنى الاصطدام أو الانفصال في مثل (قد – قطع – قرع – قذف – دق – شق ....) ، و حرف النون يدل على البروز و الظهور مثل (نفث ونفخ) ... ، و مثل (نبت – نبث – نبذ وأخواتها) ، و مثل (نجم – نشأ – و نما – نطق – نهض) [2] . ويتساءل بعضهم حينئذ : هل يجوز لنا حينئذٍ أن نطبق ذلك على دلالة الحروف مجتمعة في بنية ؟ أوعلى سبيل المثال : هل نفهم دلالة الفعل (غرق) من معنى الخفاء في الغين وتكرارالسقوط لأسفل في الراء والاصطدام بالقاع في القاف !! . ومن إشاراته إلى أثر البنية الصرفية في الدلالة أن " الاختلاف في الكمية أي في مقدار قوة الحرف شدة و ضعفا يدل على اختلاف كمي في المعنى فأوزان فعّل ، وتفعّل ، وافعلّ ، و فَعّال ، وفِعّيل تدل كلها على الشدة أو المبالغة " [3] .

وينادي د. صبحي الصالح بضرورة قبول هذه الظاهرة اللغوية و الاقتناع بها لأنها – في رأيه – تعد فتحا مبينا في فقه اللغات عامة [4] . ودعا إلى ضرورة قبول " النتائج العلمية الباهرة التي انتهى اليها عباقرة سلفنا " [5].

---

[1]- فقه اللغة و خصائص العربية ، 306

[2]- انظر فقه اللغة و خصائص العربية ، محمد المبارك 103 – 105 / وانظر: في أصول النحو ، سعيد الأفغاني 146

[3]- فقه اللغة و خصائص العربية ، محمد المبارك 177 / 178 / و انظر ايضا : 281 ، 282

[4]- دراسات في فقه اللغة ، صبحي الصالح 151

[5]- دراسات في فقه اللغة ، 170

و يدلل صبحي الصالح على صدق الظاهرة بأننا " لا نحتاج إلى كبير عناء حتى نلمح العلاقة الطبيعية بين الألفاظ الموضوعة لمحاكاة الأصوات التي تصدر عن الحيوانات "[1].

و يشير د. سعيد الأفغاني إلى " أن أصل حكاية الأصوات في اللغة العربية على حرفين مثل (طق – قب) أو ثلاثة أوسطها لين مثل (غاق) و منها اشتقت الأفعال فكلمة (صل) يحكى بها صوت شيء يابس إذا تحرك و الفعل المشتق منه (صلْ) ، فإن تكرر قالوا (صلصل) ... و كلمة (جيءجيء) دعاء الإبل للشرب فاشتقوا منه فعلا فقالوا : (جأجأ بالإبل) "[2] .

و من أبرز المعاصرين الذين أعطوا الحروف العربية دلالة ذاتية واضحة عبد الله العلايلي في كتابه (مقدمة لدرس لغة العرب) تنتقل الدلالة الذاتية للحروف إلى دلالة البنية بإجمال معاني الحروف مجتمعة . و قد أشار إلى ذلك بقوله " إن هذه الحروف ذات معاني جنسية " [3] . و من أمثلته التي استشهد بها كلمة (شجر) التي تحل إلى (ش) و معناه سن وهو ينظر إلى مطلق النبات ، و(ج) ومعناه جمل وهو ينظر إلى مجمل الارتفاع ، و(ر) ومعناه رأس والمعنى المؤلف (نبات مرتفع له رأس) وهو تماما معنى الشجر " [4] . و مثلما أشار ابن جني إلى دلالة الصيغ و الأوزان كذلك العلايلي فعنده خصوصية دلالية لكل وزن من الأوزان العربية فقدم على سبيل المثال " فعلل : خصوصيته الدلالية على ما تعددت فيه الوحدات من الوصف تقول (زبدد) للمتعدد الزبد " [5] .

و قد كان عبد الله العلايلي يشعر أن نظريته لن تلاقي قبولا واسعا عندما قال : " إن ما نفيض به في هذه المقالة سيجد قلة تؤمن به و وتسيغه " [6] . و هذا ما حدث بالفعل عندما انتقده بعضهم قائلا : " ... والحق أن حيرة الأقدمين في ربط المعاني بالألفاظ أقرب إلى العقل من يقين العلايلي " [7] .

---

[1]- دراسات في فقه اللغة ، 152
[2]- في أصول النحو ، سعيد الأفغاني 145
[3]- مقدمة لدرس لغة العرب ، عبدالله العلايلي 130
[4]- مقدمة لدرس لغة العرب ، 130
[5]- مقدمة لدرس لغة العرب ، 65
[6]- مقدمة لدرس لغة العرب ، 15
[7] - في علم اللغة , غازي مختار طليمات 209

و من إشارات المستشرقين لقبول بعض من معطيات هذه الظاهرة اللغوية ما يراه Bartin بارتين من " أن صوت الضم يعبر عن قوة البناء للمجهول في الفعل ، و تعود أهميته إلى صوته المبهم أو الغامض ، و قد احتفظ البناء للمعلوم بالصوت الواضح و الأكثر بساطة و هو الفتحة " [1] .

و يرى موسكاتي Moscatti ما رآه العرب قبله من أن الأفعال الثنائية التي تثلثت بالنون تدل على معنى تصويت في مثل (نبح) من القول (بح) ، و(نفخ) من التصويت (Puh) [2] . كما يشير موسكاتي أيضا إلى أن لاندزبرج Landsberg " كان أول من أدرك أنه يوجد قدر من الترابط بين عدة أنماط من الأفعال المعتلة ... و أصناف دلالية معينة " [3] .

و في تضعيف الصيغة الثنائية في مثل (صلصل) " يقترح Hurwitz أن هذه الأنماط مخزونة في العقلية السامية بوصفها وسائل لتقوية معنى الفعل " [4] . و يشير بارث Barth إلى أن هذه الصيغة (صلصل) كما تدل عليها المقارنة الحالية " في مختلف التعبيرات السامية و على نطاق واسع وضعت من جذرين اثنين ثم تضاعفت " [5] . و هو نفس ما نادى به اللغويون العرب من قبل .

***

ومن العرض السابق كان من الممكن أن يصير حسم هذه القضية الخلافية بين اللبلي و ابن جني لصالح الثاني أمرا سهلا لولا أن هب عدد كبير من العلماء المعاصرين يرفضون قبول هذه الظاهرة ، ويرفضون نظريات نشأة اللغة التي ساعدت على القول بها ؛ والسبب أن " كل هذه النظريات لم يثبت صحتها علميا " [6] . و نشأة الكلام بهذا الشكل موضوع " انصرف عنه معظم المحدثين و اعتبروا هذا النوع من البحث من بحوث ما وراء الطبيعة و لا أمل في الوصول فيه إلى رأي محقق أو قريب من الحقيقة " [7] .

---

[1]- الفعل المبني للمجهول ،عبد الفتاح محمد , 22

[2]- انظر مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ،سباتينيو موسكاتي ، و آخرون 280

[3]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 279 / 280

[4]- O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages , 214

[5]- J.Barth: Die Nominalbildung in den Semitischen sprachen , 203

[6]- مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية ، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي 22

[7]- من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس 142

ومثلما عارضه أبو جعفر اللبلي من قبل فقد وجدنا كثيرا من المعاصرين يعارضون هذا الاتجاه وكان من أبرز المعارضين : د. تمام حسان ، ود. إبراهيم أنيس ، ود. رمضان عبد التواب ، و د. مصطفى التوني ، ود. إبراهيم السامرائي ، و د. غانم المطلبي ، ود.عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، ود.غازي مختار طليمات ، وغيرهم ، و من علماء الغرب نجد ماريوباي ، وجون ليونز ، ودي سوسير ، وأنطوان ميبه ، وغيرهم .

و يجعل د. تمام حسان مبدأ (التعارف) أو (العرف المحلي) أساسا لوضع المفردات في لغة قوم ما " و من ثم تختلف المفردات من لغة إلى لغة لأن تعارف جماعة ما لا يتشابه بالضرورة مع تعرف الجماعة الأخرى " [1] . و أساس هذا التعارف عنده " الاعتباط لا المنطق و لا الطبيعة " [2] ، و يستدل على ذلك بقوله " لو كانت العلاقة بين الاسم و المسمى طبيعية أو منطقية لكان الكلب كلبا والحمار حمارا في كل لغات البشر " [3] . و يعتبر تمام لحسان العلاقة بين الحرف أو ما سماه (الجزيء) و بين وظيفته لدى المتكلم علاقة نفسية [4]

و يشير د. إبراهيم أنيس إلى قدم الجدل القائم حول هذه النظرية حيث " أثير هذا الجدل بين فلاسفة اليونان و مناطقة العرب و لا نزال نقرؤه الآن بين المحدثين " [5] . و يحمل إبراهيم أنيس على القائلين بهذا الربط بين الصوت و الدلالة و يجعله من العبث ، فمن العبث " أن ننظر في البحث عن الصلة بين الأصوات و المدلولات إلى تلك العهود السحيقة في القدم ، وأن نحاول افتراض أن الإنسان الأول قد راعى في الاهتداء إلى الكلمات صلة وثيقة بين الأصوات و المدلولات " [6] .

و من دواعي رفض د. أنيس لهذا الربط " على فرض التسليم به هو أمر يختلف باختلاف أبناء البيئة الواحدة بل الشعوب و الأمم فالخلاف بينها واضح بين حتى في تلك الأصوات الانعكاسية

[1]- اللغة العربية معناها و مبناها ، تمام حسان 314.
[2]- اللغة العربية معناها و مبناها ، 319
[3]- اللغة العربية معناها ومبناها ، 111
[4]- اللغة العربية معناها و مبناها ، 124
[5]- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، 153 / و انظر من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس 141
[6]- من أسرار اللغة ، 142

الغرزية "[1] . و سبب آخر دعاه إلى ذلك الرفض حيث إن " أعضاء النطق لـدى الإنسـان لا تسـتطيع في كثير من الأحيان تقليد كل الأصوات غيرالنطقية تقليدا دقيقا ، ولذلك كان اختيـار الأصـوات في مثـل هذه الكلمات وليد المصادفة إلى حد كبير "[2] واستدل د. إبراهيم أنيس على رفضه أيضـا بوجـود ظـواهر لغوية مثل الترادف و المشترك اللفظي و خضوع الأصوات و المعاني للتطور المستمر على مر الأيام[3] .

و يشك أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب في صدق النظرية و ينسبه إلى الحدس و المصادفة " فإنه لو صح ما قاله الصيمري لاهتدى كل إنسـان إلى كـل لغـة عـلى وجـه الأرض ، نعـم ، قـد يحـدس الإنسان معنى كلمة من الكلمات في لغة من اللغات بخبراتـه في هـذه اللغـة ، فـإن مجـرد النطـق بـاللفظ يستدعي إلى الذهن أمثاله من الألفاظ ، غير أنه كثيرا ما يخيب "[4] . و يفصل د . رمضـان بـين المصـطلح اللغوي و الشيء الذي وضع له " و لا يصح أن يغيب عن بالنا أنه ليس بين الاصطلاح اللغوي و الشيء الذي وضع له هذا الاصطلاح أية علاقة طبيعية وإنما هي علاقة تقاليد "[5] .

و بخصوص الصيغة الصرفية (ململ و أخواتها) فترجع عنـده إلى تطـورعن الثلاثـي المضـعف (فعّل) بفعل قانون المخالفة الصوتية " بتكرار الحرف الأول من الكلمة عوضا عن أحد المتماثلـين منهـا مثـل كفكف دمعه بدلا من كفف و مثل ذلك في اللهجات الحديثة : حكحك في حكك "[6] .

و مثل مذهب د. تمام حسان الذي أرجع اللغـة عمومـا إلى الاعتبـاط يـرفض د. مصـطفى التـوني السعي وراء الدلالات التي يمكن أن تشير إليهـا – مـن قريـب أو بعيـد – الحـروف الأصـول في الكلـمات المختلفة فيقول : " و هو ما لا نوافق عليه و نعده من الجانب الاعتباطي أو العشـوائي الـذي يميـز اللغـات

[1]- الأصوات اللغوية ، 153 - 154
[2]- الأصوات اللغوية ، 152
[3]- انظر: من أسرار اللغة ، 144
[4]- بحوث و مقالات في اللغة ، رمضان عبد التواب 18 / 19
[5]- بحوث و مقالات في اللغة ، 22
[6]- فصول في فقه العربية ، 306

obeikandl.com

الإنسانية كلها و الاعتباطية أو العشوائية تعني في أبسط صورها أنه لا علاقة طبيعية ولا منطقية تربط بين اللفظة ومعناها فليس هناك شيء في كلمة (كرسي) تعكس ذلك الشيء المسمى لها " [1] .

وإلى مثل هذا الكلام أشار د.إبراهيم السامرائي [2] ، و كذلك د.غانم المطلبي الذي رأى في قبول تلك الظاهرة تقييدا لحركة اللفظ المستمرة والنامية الذي " يتجمع حوله معان ثانوية ودلالات عاطفية إضافة إلى المعنى العام ذي الطبيعة المعجمية مما يسمح له بالتغير المستمر ، بحيث يمكن أن يطلق على شيء معين في حقبة معينة ثم يطلق في حقبة أخرى على شيء آخر " [3] .

و كان لقلة الألفاظ المستشهد بها من قبل أصحاب هذا الاتجاه في مواجهة المعجم اللغوي الضخم أمر استند إليه كثيرمن الرافضين .فيتساءل غانم المطلبي عن ألفاظ لا يستقيم لها هذا الاتجاه " فما الذي ترمز إليه كلمات من قبيل (إن ، وهل ، وقد ، و لم .... إلخ) " [4] . كذلك يشير د. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي إلى عجز النظرية عن تفسير الكثرة الغالبة من ألفاظ اللغة فهي " لا تفسر لنا إلا قلة قليلة من الألفاظ التي تحاكي بجرسها أصواتا في الطبيعة مثل نزيب الظبي وحنين الرعد وما شابه ذلك " [5] .

و إلى مثل ذلك أشار د.غازي مختار طليمات " فالأمثلة القليلة التي ذكرها عباد بن سليمان الصيمري لا تقف حجة كافية أمام آلاف الأمثلة التي لم يذكرها والتي تأتي بناء هذه النظرية من القواعد . وليس نقضها قاصرا على العرب وحدهم ... بل إنك لتجد أشد المتعصبين لها في أول حياته وهو (هَردر) أشد المتنصلين منها في آخر حياته " [6] . ويصف د.غازي مختار طليمات رأي العلايلي في القول بدلالة الصوت المفرد بأنه " أغرب الآراء المتعلقة بمباني العربية ومعانيها " [7] .

[1]- النون في اللغة العربية دراسة لغوية في ضوء القرآن الكريم ، ، مصطفى التوني . ص43 - 44
[2]- انظر: فقه اللغة المقارن ، إبراهيم السامرائي 189 - 190
[3]- في علم اللغة ، غانم المطلبي 88
[4]- في علم اللغة ، غانم المطلبي 85
[5]- مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية ، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي 19
[6]- في علم اللغة , غازي مختار طليمات , ط2 ، دار طلاس ، دمشق ، 2000 . 48
[7]- في علم اللغة ، غازي مختار طليمات 209

و كان مبدأ الاعتباطية في وضع اللغة وكذلك قلة الكلمات الدالة على المحاكاة [1] أهم ما دعا كثيرا من علماء الغرب لرفض النظرية أو تشير تعريفات اللغة عند معظمهم مثل تعريفات سابير و بلوخ و هال إلى مبدأ أساسي وهو أن " اللغة نظام اجتماعي من الرموز المنطوقة الاعتباطية المعتاد استخدامها[2].

يقول ماريوباي في هذا الأمر :" ليس هناك أي رابطة نظرية بين اللفظ و مدلوله ، و ولو صح الافتراض القائل بوجود علاقة فطرية بينهما لكان حتما أن يتكلم الناس لغة واحدة ولكن الأمر على غير ذلك فكلمة dog في الإنجليزية يقابلها chien الفرنسية و porro الأسبانية و inu اليابانية " [3] .

و يرى ليونز " أن الأغلبية العظمى من الكلمات في كل اللغات غير مسماه بالمحاكاة الصوتية ، فالعلاقة بين ألفاظها ومعانيها اعتباطية ، فلفظ كلمة ما لا يمكن أن ينبئ عن معناها ، كما أن معنى كلمة ما لا يمكن أن ينبئ عن لفظها " [4] .

و يقدم دي سوسير عدة انتقادات يعتمد عليها في رفضه لهذا الاتجاه الذي " يزعم أن الأفكار معدة مسبقا موجودة مثل الكلمات ، كما أنه لا يخبرنا هل أن الاسم في طبيعته صوتي أم سيكولوجي ... ثم أنه يجعلنا نعتقد أن ربط التسمية بالشيء إنما هو عملية بسيطة وهذا الاعتقاد بعيد عن الصحة " [5] .

***

وبعد العرض السابق يتضح لنا أننا إذا استسلمنا لمبدأ الرافضين لربط الصوت أو الصيغة الصرفية بالدلالة لانتهى الأمر في صالح أبي جعفر اللبلي أمام ابن جني ، ولكن الأمر ليس بهذه البساطة ، فحتى الرافضون أنفسهم وقفوا حائرين أمام تلك القوة التي تفرضها أمثلة ابن جني وغيره .

فهذا أنطوان مييه يقر بوجود الرابط الصوتي الدلالي في بعض الكلمات حيث يقول: " إذا ثبت أن بعض الكلمات لا يمكن أن تعد مخلوقة من العدم على نحو ما ، بحيث لا نجد لها أصلا اشتقاقيا فإنه

---

[1]- انظر: علم اللغة العام ، فرديناند دي سوسير,88

[2]- انظر: اللغة وعلم اللغة جون ليونز 1| 4-6

[3]- أسس علم اللغة ، ماريوباي 41 / و انظر:المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب 209

[4]- اللغة وعلم اللغة ، 1|26

[5]- علم اللغة العام ، دي سوسير 84

من المسلم به أن لكل طريقة خاصة للنطق وكل نظام نحوي عام قيمة تعبيرية لا تنكر ، وذلك أنها كلمات أشبه بأسماء الأصوات ، وتدخل في فصيلة من الكلمات تعتبر اليوم ثابتة النظام والقواعد ، فكلمة Kodak (وهي كلمة مخترعة في القرن الثامن عشر) تصور لنا صورة هي صورة سمعية حتى أننا نحس صوت المفتاح الذي يفتح الآلة لالتقاط الصورة و يغلقها . فهل أحس مخترع الكلمة هذه القيمة وأراد أن يحاكيها ؟ إن هذا لجائز ، و لكنه غير ضروري " [1] .

حتى الدكتور أنيس نفسه – وهو من أبرز الرافضين – ربط في مواضع أخرى بين الصوت و الدلالة حيث يقول " مالت القبائل البدوية بشكل عام إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمة لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية ، فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدنا القبائل البدوية تضم " [2] . و في موضع آخر يشير إلى أن " الحركات في بعض اللغات قد ترمز لمعان خاصة ففي اللغة الحامية نرى الكسرة تعبر في غالب الأحيان عن القريب ، في حين أن الضمة تعبر عن البعيد ، كذلك في الفصيلة الهندية الأوربية على العموم نرى الكسرة تعبر عن صغر الحجم و الرقة و قصر الوقت ، فإذا نظرنا إلى العربية وجدنا الكسرة فيها رمز المؤنث ووجدنا التصغير بالياء التي هي أخت الكسرة " [3] .

و لم نلاحظ أي رفض للدكتور إبراهيم أنيس لتلك المظاهر التي استشهد بها ابن جني بل ينسبها إلى الطبيعة الأدبية للغة العربية والحاسة الشاعرة فيها [4] . ويقر بأنه من العسير حصر تلك المجالات اللغوية التي نلحظ فيها وثوق الصلة بين الأصوات و المدلولات " [5] .

و ذهب إلى قريب من ذلك الدكتور رمضان عبد التواب بقوله : " و هذا الذي ذكره ابن جني يصح في بعض نصوص اللغة دون غيرها فلو أننا نظرنا مثلا إلى الآية القرآنية التي تقول : (وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) [يوسف 12/ 23] لأحسسنا بصوت المزاليج و هي تحكم رتاج الأبواب و

[1]- انظر: المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، 207
[2]- في اللهجات العربية ، إبراهيم أنيس 81
[3]- من أسرار اللغة ، إبراهيم أنيس 148
[4]- انظر: من أسرار اللغة من ص 139 - 150
[5]- من أسرار اللغة ، 145

ينعدم هذا الإحساس مع الفعل أغلق الذي يدل على مجرد الإغلاق " [1] . و هو بذلك يقر بالقيمة الدلالية للتضعيف في صيغة (فعّل) كذلك يقر بالقيمة الدلالية للتكرار في الصيغة المضاعفة ويرى" أن المصادر الرباعية المضعفة إنما تأتي لتكرير الفعل كالزغزغة والقلقلة والجرجرة والصلصلة ، وما إلى ذلك فإن تكرير المقاطع هنا مناسب لتكرير الفعل و حدوثه مرات عديدة " [2] .

كذلك يعود الدكتور رمضان ليستشهد بما يؤيد هذه النظرية عن القيمة الدلالية للصوت المفرد من خلال " ما قد نجده في بعض الأحيان من اشتراك بعض الأصوات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدة لغات ، فإن الكلمة التي تدل على الهمس في العربية كما نعرف (همس) ، وفي الإنجليزية whisper، وفي الألمانية flustern ، وفي العبرية safsaf (صفصف) ، وفي الحبشية fasay (فاصي) ، وفي التركية susmak ، فالعامل المشترك بين هذه اللغات جميعا في تلك الكلمة هو : صوت الصفير السين أو الصاد أوهو الصوت المميز لعملية الهمس في الطبيعة "[3].

و يعود د. إبراهيم السامرائي إلى إقرار النظرية في مثل قوله حول كلمات من قبيل (طرطر- طعطع) فيقول : " أقول : و هذا كما يبدو من باب حكاية الأصوات التي تلتقي فيها اللغات التقاءا واضحا " [4] . و كذلك د.عبد الفتاح عبد العليم البركاوي الذي يرى أنه " قد يكون هناك جانب من الحقيقة في كل من هذه النظريات حيث يمكن تطبيق بعض مبادئها على بعض الكلمات التي تستحدث في كل اللغات التي نمارسها " [5] . حتى جون ليونز نفسه يشير إلى أن " هناك أمثلة متفرقة في كل اللغات كما يعرف تقليديا بظاهرة التسمية بالمحاكاة الصوتية " [6].

***

[1]- بحوث و مقالات في اللغة , رمضان عبد التواب 20
[2]- بحوث و مقالات في اللغة , 20
[3]- بحوث و مقالات في اللغة , رمضان عبد التواب 17
[4]- انظر دراسات في اللغتين العربية والسريانية ، إبراهيم السامرائي ، 104 ، 105
[5]- مقدمة في فقه اللغة العربية واللغات السامية ، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي 22
[6]- اللغة وعلم اللغة ، جون ليونز 26/1

في الساميات المقارنة :

وإذا كانت كل اللغات بها ما يؤيد رؤية ابن جني أو حتى بعضها فمن باب التسرع القول برفض جميع آراء ابن جني ، و المقارنة باللغات السامية توضح لنا رجحان نظرية ابن جني في هذا الشأن . و بداية يجب أن نلاحظ أن اللغة العربية بثرائها واتساع معجمها سنجدها تفوق أخواتها الساميات بما لا يشترط معه في المقارنة أن نجد كل التنوعات الصوتية الموجودة بها في أخواتها الساميات أزد على ذلك ما سماه د. إبراهيم أنيس الصبغة الأدبية ، أو الحاسة الشاعرة لتلك اللغة .

فليس شرطا أن نجد ما سبق من دقائق تفريق ابن جني الدلالي – (في مثل حلا يحلو أو حلي يحلي أو في خضم وقضم [1]) – بتمامه في الساميات عند النظر إلى تأثيرات الصوت المفرد في الكلمة أو لكننا سنقدم للظاهرة بشيء من النظرة العامة.و سوف نستشهد بالساميات المقارنة من خلال المحاور التي بدأ بها البحث . وهذه المحاور ثلاثة هي كما يلي :

– الصوت المفرد و أثره في دلالة الكلمة .

– البنية الصرفية و علاقتها بالدلالة .

– اسم الفعل و علاقته بالأصوات .

أولا : – الصوت المفرد و أثره في دلالة الكلمة .

تدلل لنا الدراسة المقارنة بالساميات على وجود العلاقة بين الصوت المفرد والدلالة داخل بنية الكلمة أفمن تأثيرات الصوت المفرد في بنية الكلمة على دلالتها نجد في العبرية على سبيل المثال : **הַס**

[1]- التبادل بين القاف و الخاء نادر في اللغات السامية بسبب عدم وجود الخاء في المكونات الأصلية لأغلب أنظمة اللغات السامية الصوتية , انظر- التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية و اللغات السامية ، أمينة صالح الزعبي 50 - و الفعل (حلا أو حلي) مختوم بيوذ في السريانية (**ܚܠܐ**) و هو فعل لازم مثل العربية و المصدر منه بالياء و الواو (**ܚܠܝܘܬܐ**) حلاوة ، (انظر اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي 269) - و الفعل في العبرية **חלה** و الصفة منه يائية **חלי** (حلو) ، و الاسم أيضا **חלי** ، و كلها تدور حول حلاوة الوجه و السرور و الزينة (انظر) :
W.Gesenius: Hebrew and English lexicon of the old testament, Oxford, 1906., 318
و في العربية الجنوبية : حلي (ح ل ي-حلي حلو (ح ل و- حلو) - احلي (أ ح ل ي - احلي) أي بالياء و الواو معا و يحمل معنى الروائح الطيبة ، و في الحبشية : ḥalaya ḥለየ بالياء بمعنى غنى أو حسُن أو تزين ، انظر : المعجم التأصيلي للفعل الناقص في اللغات السامية ، عمر صابر عبد الجليل 59 .

הָס hush : keep silence الزم الصمت [1] . و ومنه أيضا הסה أسكت أو سكّت [2] . (هسه) ، وهذا الفعل يحمل صوت الصفير (السين) و هو الصوت المميز لعملية الهمس في الطبيعة [3].

و من محاكاة الأصوات الطبيعية : الفعل العبري צָלַל (ṣālal) اهتز أو منه צִלְצָל (ṣelṣāl) (طنين الجرادة) ومنه في سفر عزرا 1/ 81 : אֶרֶץ צִלְצַל בְּנָפָיִם (ereṣ ṣelṣal bnāfāyem) : land of buzzing of (insects) wings أرض طنين الأجنحة (أجنحة الحشرات) . و في الأشورية sarsaru ، و في السريانية ܨܪܨܘܪܐ (ṣarṣórā) ، و منه أيضا צְלְצְלִים (ṣelṣlīm) اسم مذكر جمع (صوت الطرق – قرع الصنج الموسيقية) [4] .

و مثل العربية تماما في رؤية كثير من العلماء للجذور الثلاثية أنها كانت ثنائية تم تثليثها لتنويع المعنى – مثل الجذر الثنائي (قط) الذي يدل على القطع مع صوت مرافق ، والتشابه بين الجذور الثلاثية التي تبدأ بهذين الصوتين – كذلك الحال في الساميات ، يشير موسكاتي إلى أن " نظرة فاحصة في المعجم [السامي] تكتشف الظاهرة الآتية : ثمة مجموعات كثيرة لجذور لها صوتان أصليان مشتركان يعبران عن معان متماثلة أو متشابهة فمثلا في العبرية :

برد prd فصل

برم prm مزق

برس prs فلق – شق

برص prṡ هدم – دمر

برق prq مزق

بر prr حل – ذوب

[1] -W.Gesenius: Hebrew and English lexicon of the old testament , 245

[2]- قاموس الأفعال العبرية عبري عربي ، م ضباعي ، مكتبة لبنان ، بيروت 1975 .ص 14

[3]- انظر بحوث و مقالات في اللغة , 17

[4]- W.Gesenius: Hebrew and English , 852 : انظر

برش ŝprt ميز

و تشترك كل هذه الأفعال بالصوتين الأصليين بر pr [1] .

و من الآثار الآرامية في العراق : بعّوعة ba‹ō›ah : خشن الصوت يخرج صوته من حلقه من : ܒܥܥܐ (بعيعا) خشن ،غليظ ، سمح ، بحيح ، وجاء في القاموس : البعبعة حكاية بعض الأصوات [2] .

و يشير مرمرجي الدومنكي إلى كلمة (الحج) في اللغات السامية " وهي اسم صوت يدل على إجهاد النفس .. فقد رأينا أن هذا الحرف يراد به في اللغات السامية الرقص ، وأنه مأخوذ من اسم الصوت الخارج من فم العامل المجهد نفسه كالحداد " [3] .

و تظهر تلك المحاكاة فيما أعتقد في كل اللغات أفمن محاكاة الأصوات في غير اللغات السامية ما ورد عن الفارسية في كلمة (زمزم) كما يزعم أدي شير وهو صوت " النغم الذي يتنغم به المجوس على أكلهم وفي قراءتهم كتاب الزند و في غسل أبدانهم و هو عبارة عن صوت يديرونه في خياشيمهم ، وحلوقهم ، وهم صموت لا يستعملون لسانا و لا شفة لكن يفهم بعضهم بعضا ، وأصل معنى زمزم بالفارسية رويدا رويدا " [4] .

و يشير جرجي زيدان إلى ذلك في لغة المصريين القدماء حيث " كان المصريون يعبرون عن النار بقولهم (هه) وهي حكاية صوت الزفير الاعتصابي ... و عندهم (خخ) لما هو عندنا (بلعوم) ، فكأن الأصل فيه إخراج الصوت بعنف من مؤخر الحلق ، لينتبه السامع إلى أن المتكلم يقصد البلعوم المجاور لتلك الجهة " [5] .

***

[1]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، سباتينو موسكاتي و آخرون 125 - 126
[2]- الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية ، داود الجلبي الموصلي 20
[3]- المعجمية العربية في ضوء الثنائية و الألسنية السامية ، الأب مرمرجي الدومنكي 49
[4]- الألفاظ الفارسية المعربة ،السيد أدي شير 79.
[5]- الألفاظ العربية و الفلسفة اللغوية ، جرجي زيدان 78

ثانيا : - البنية الصرفية وعلاقتها بالدلالة .

و إذا انتقلنا إلى القضية الثانية وهي ربط الصيغة الصرفية بالدلالة في الصيغة المضعفة (فعّـل) و صلتها بصيغة (فعلل) تؤيد المقارنة بالساميات ما جاء به ابن جني في هذا الشأن فـيما أشـار إليـه في (ملل و ململ) ومثيلاتها . و يمكننا الإشارة إلى هذه القضية في الساميات من خلال :

ا- وجود الصيغة بالفعل و دلالتها الحركية أو الصوتية .

ب- مضاعفة الصيغة الثنائية إلى الصيغة الرباعية .

ج- زيادة مبنى الكلمة لتكثير دلالتها .

(ا) – تـدلل الدراسـة المقارنـة عـلى أن مثـل الصـيغة العربيـة (ملمـل) موجـودة بالفعـل في الساميات بما تحمله من دلالات حركية أو صوتية أو حتى نفسية ، أضف إلى ذلك وصفها امتدادا لصيغة (ملل) أيضا . ففي العبرية الفعل **זָלַל** (zālal) ومنه الاسم **זַלְזַל** [1] . (zalzal) هو مـن الزلزلـة مثل العربية ، وفيها أيضا **גָּלַל** (ĝālal) و منه **גַּלְגַּל** (ĝalĝal) بمعنـى(دحـرج) وفيهـا **שָׁעַע** (ŝā‘a‘) ومنه **שַׁעְשַׁע** (ŝa‘ŝa‘) بمعنى (فرح) [2].

والفعل **רָפַף** (رافف) بمعنى(اهتز) منـه في العبريـة الحديثـة **רִפְרֵף** (rafraf) [3] . و الفعـل **צָחַח** (śāḥaḥ) بمعنى (أبهر) منه في التلمود **צַחְצַח** (صحصح) بمعني (حسّن) [4]. ومن الفعل العبري **קָצַץ** (qāṣaṣ) بمعنى (قص – قطع) ، والآرامي قَأَأ (قصِـص) ، يـأتي الفعـل الأشـوري kasūṣu [5] وكذا الفعل السرياني ܩܨܩܨ (qaṣqaṣ). [6] وفي الأشـورية أيضـا dandanu مـن الفعـل (dann) (قوي) [7] . و في السريانية **ܦܬ** (فت) ومنه **ܦܬܦܬ** (fatfat) بمعنى (فتت) [1] .

---

[1]-W.Gesenius: Hebrew and English lexicon of the old testament , 272
[2] -O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages , 213
[3] -W.Gesenius: Hebrew and English , 852
[4]- W.Gesenius: Hebrew and English , 850
[5] -W.Gesenius: Hebrew and English , 843
[6]- دراسات في اللغتين العربية والسريانية ، إبراهيم السامرائي ،84
[7] -O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages , 214

و مما يدل على ارتباط هذه الصيغة بالدلالة الحركية أو الصوتية في اللغات السامية ما جاء في السريانية : ܗܡܗܡ hamham(ردد الزئير في صدره من الهم) [2] . وهو من الفعل العبري הָמָה (hāmah غضب – زمجر – زأر) [3] . وفي العربية همهم . والغريب أن الفعل في الإنجليزية (من اللغات اللاتينية) murmur [4] . ومن هذه الأفعال السريانية أيضا : ܘܠܘܠ walwel و منه ܙܠܙܠ zalzel [5] و منها ܨܪܨܪ ṣarṣar(صوت الجندب)[6] و منها ܪܦܪ(rafra)[7] و منها ܓܪܓܪ(ǧarǧar)[8] .

و من هذه الأفعال في العبرية : קרקר qarqar) (هد – هدم) وקלקל qalqal(حرك – هز) [9] . و منها פרפר farfar) (تحطم) [10] .

و يشير كارل بروكلمان إلى نماذج أخرى لبعض الأفعال [11] . والتي يظهر من خلال خصائصها الصوتية والدلالية صدق ما يشار إليه في هذا المقام ، منها في الحبشية : dabdaba (أزعج) ، gēgaja (أخطأ) ، وفي الآرامية raūreṯ (كبر) ، وفي السريانية ramrem (زوّد) ، gargar (جرّ) . وفي الحبشية أيضا عند أوليري lāmōlama (تبادل إطلاق النار) وهو في الأمهرية lamalama [12] . ومن جيران الساميات في المصرية القديمة عند واليس : (عَنّ) : ann ← (an،an، عاد يعود) [13] .

---

[1]- L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , Dar El-Machreq, Beyrouth,2002., 295

[2]- البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، أغناطيوس يعقوب الثالث 83

[3]- قاموس الأفعال العبرية 13

[4]- W.Gesenius: Hebrew and English , 242

[5]- البراهين الحسية ، 83 ، 84

[6]- البراهين الحسية ، 108

[7]- الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ، يعقوب أوجين منا 212

[8]- الأصول الجلية, 219

[9]- قاموس الأفعال العبرية 58

[10]- قاموس الأفعال العبرية 53

[11]- انظر:

C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik der Semitischen sprachen, 247

[12] -O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages , 213

[13] -E.A.Wallis: An Egyptian Hieroo-lyphic dictionary , 122

(ب) - : مضاعفة الصيغة الثنائية إلى الصيغة الرباعية : وهو أمر سوف يخلق جدلا من نوع آخر – نحن في غنى عنه في بحثنا هذا ، ولكن من الضرورة الإشارة إلى بعض منه – يتمثل في أن الصيغة (ململ) هل وزنها (فعلل) أم (فعفع) ، وطبقا لقانون المخالفة فسر معظم المعاصرين الصيغة (ململ) وأشباهها بأنها صيغة متطورة عن صيغة (ملل) بتكرار الجذر الأول بديلا عن الصوت المشدد ، وعلى ذلك فالوزن حينئذ سيكون (فعلل) . أما ما سنعرضه من آراء المستشرقين سيدلنا على أن الوزن هو (فعفع) نشأ ذلك عن القول بأن الجذر الأصلي للصيغة الرباعية كان ثنائيا وتمت مضاعفته .

يقول موسكاتي " وتضعيف الجذور الثنائية في الأصل يحدث في الساامية الغربية الشمالية والجنوبية كلتيهما صيغا رباعية على وزن (قبقب) (فعفع) ففي العبرية مثلا gilgel دحرج ، وفي السريانية : balbel (بلبل) ، وفي العربية زلزل ، وفي الأثيوبية badbada (بدد) [1] .

كذلك أشار ولفنسون إلى مثل ذلك بقوله : " أما الأفعال الرباعية المؤلفة من أربعة أحرف مثل صلصل وجعجع وبلبل وقلقل بالعربية ، والأفعال : **ברמם** varmam، **נלנל** nalnal، **צלצל** ṣalṣal، **חלחל** ḥalḥal، **שעשע** ‘ša‘ša ، **כלכל** kalkal بالعبرية فيحتمل أنها كانت في الأصل مؤلفة من حرفين اثنين ثم انتقلت في قرون متطاولة حتى صارت أفعالا رباعية " [2] .

وإلى مثل ذلك أشار كارل بروكلمان في قوله : " مع مضاعفة الجذر كاملا في الأفعال مثل : حلحل (خلط – بلبل) ، جرجر (جر – جرجر) [3] . balbal - gargar .

وتوافق معه وليام رايت W. Wright الذي قال بتكرار الحرفين الرئيسين للجذر في الآرامية والعبرية ، ففي الآرامية مثل bazbaz، galgal، محمد qa،qa . وفي العبرية גלגל ، **קלקל** , **שעשע** ، [جلجل – قلقل – شعشع] ومعناها على الترتيب (فرح – أخذ – أضاء)[1] .

[1]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 220
[2]- تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنسون 17 - 18
[3]- انظر: C. Brockelmann: Syrische Grammatik,. , 78

C. Brockelmann: Kurzgefasste vegleichende Grammatik 247

وأكد بيستون beeston أن هذا حدث في العربية الجنوبية أيضا " وثمة أسماء رباعية تتألف من جذور ثنائية مضعفة مثل fdfdt (إشباع – إتخام) ، s'ṣ (صيف) [2] .

وجعله إقليميس يوسف داود الموصلي من طرق زيادة الأفعال في اللغة السريانية " بزيادة حرفين من جنس الحروف الأصلية نحو (ههههم) (سمسم) (داوى) " [3] . وتوجد هذه الصيغة أيضا في الأشورية وتدل على الأصوات مثل wahwah : زئير الأسد ، hamham : صوت الخيل ، رحرح raḥraḥ : تحدث بشكل غامض " [4] .

والجديد في الأمر أن هذه الأفعال من مثل (بلبل – גלגל– שמשם – lămōlama) قد جعلها O' Leary على وزن (q-tq-l) [5] . أي (فعفل) .

و إذا عدنا إلى المزيد من الأمثلة من اللغات السامية بمضاعفة الجذر الأصلي سنجد في السريانية:

دق daq ← دقدق daqdaq (دق) [6] . وفيها فَل>fal فَلفِل falfal (رش) [7] . وفيها بَل> بَلبِل (بلبل) [8] .balbal وفيها بَق > بَقبِق baqbaq ، (بقبق – صوت الكوز في الماء – أو غلت القدر ، أو كثر كلام الرجل) [9] . وفي النقوش الأشورية : در dar ودردر dardar (سقف الأنياب) [10] .

ومثل هذه المضاعفة وجدناها بكثرة في المصرية القديمة ومن أمثلتها : ben (هرب – ذهب بعيدا) ← benben (أتى – عاد) [11] . وكأنه قد فعل الأمرين معا (الذهاب والعودة) !! وفيها nes (سكين

---

[1] - W.Wright: Lectures on the comparative grammar of the Semitic languages . 220

[2]- قواعد النقوش العربية الجنوبية ، كتابات المسند ، ألفريد بيستون 21

[3]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي 198

[4] -C. Forester: The one primeral language , 88

[5] -O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages , 213

[6] -L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 69

[7] -L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 275

[8] -L.Costaz: Syriac-English- French – Arabic dictionary , 30

[9]- البراهين الحسية على تقارض السريانية والعربية ، أغناطيوس يعقوب الثالث 78

[10]- C- Forester: The one primeral language . 88

[11]- E.A.Wallis: An Egyptian Hieroo-lyphic dictionary , 216 - 217

) ← nesnes (قطّع) [1] . وأخذوا من āu (عو) نوع من الخشب ، ← āu āu (عوعو) حطّم [2] . ومن nem (نام) ← nemnem (نام بعمق) [3] . وكأنه ضاعف الدلالة !! .

(جـ) – و الأمر الثالث الذي يؤيد مذهب ابن جني في أن زيادة المبنى تساوي زيادة في المعنى حسب ما ناقشناه من قبل نجده مؤيدا بالدراسة المقارنة بالساميات أيضا ، يشير إلى مثل ذلك موسكاتي وآخرون في اللغة الحبشية حيث يعد " تكرار الأصل الثاني سمة شائعة في اللغات الأثيوبية الحديثة وذلك بوجه عام للدلالة على تكرار المعنى أو المبالغة مثلا :

في الأمهرية : sabābara (هشّم) ، وفي التكرينية : qatātala (ذبح) [4] . وفي العبرية كما يشير بروكلمان " في بعض الكلمات المنتهية بعلة مثل memē بجوار الصيغة الأكثر استعمالا (mē) (ماء) بمعنى (maiim) مياه " [5] .

ولمثل تلك العلاقة بين المفرد والجمع أشار أولـيري إلى بعض الحاميات " ففي لغة الهوسا yasa (إصبع) جمعها yasosi . ومن المحتمل وجود مثل هذا في المصرية القديمة ، مثل (r ’r i) كرمة ، وبقي بعض آثار هذه الأشكال في الساميات ففي العبرية :pé (فم) تجمع على : -pipi ôth ، وفي الآرامية (rab) (عظيم) تجمع **רברבון** " [6] ، (rabrabón) .

ومضاعفة الجذر أو جزء من الجذر هو النوع الأقدم للجمع في اللغات الحامية ومن أمثلته " في الصومالية : ’ad (أبيض) جمعها ’ad ’ad أوفيها : der (طويل) وجمعها derder ، أو بالمضاعفة الجزئية ، ومن أمثلة المضاعفة الجزئية في لغة الكافا : bako (يد) جمعها bakiko " [7] . وفي اللغات الحامية أيضا نجد في لغة " الكافا kafa : kare (قاتِل) ← karkare (قاتِل باستمرار – سفاح)

[1]- E.A.Wallis: , 390
[2] -E.A.Wallis: , 114 (ā) يرمز المعجم لصوت العين بـ
[3] -E.A.Wallis: , 374
[4]- مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ، 220
[5]- C. Brockelmann : Precis de linguistique semitique . 133
[6]- O'Leary: Comparative grammar of the Semitic languages , 192
[7] -O'Leary: 192

obeikandl.com

، وفي لغة الجالا ademe : Galla ademe (ظل ذاهبا) ، وفي اللغة الصومالية : go (قطع) ← gogo (قطع أجزاء صغيرة) " [1] .

وفي المصرية القديمة نجد مثل هذا بكثرة في مثل : " negen قطع ← negengen دمر – قطع قطعا صغيرة " [2] . وفيها أيضا apa (يبدأ بالطيران) ← apapa يطير بالفعل [3] . (يحلق) . وفيها āb (غاصت قدمه) ← ābāb دفع – يفتح بقوة " [4] .

و نختم هذه النقطة بما ورد في المعاجم العبرية عند سلوى ناظم ويشير إلى مثل هذه الوظيفة من زيادة المبنى لزيادة المعنى :

من **חמר** (ḥāmer) (أحرق – حمص) ← חמרמר ḥamarmer(تحمر – تحمص)

ومن **ירק** (yāraq) (اخضرّ) ← ירקרק yaraqraq (مخضوضر)

ومن **אדם** (ʾādam) (حمر) ← **אדמדם** adamdam (محمر)

ومن **עקל** (ʿāqal) (قوس – لوى) ← **עקלקל** aqalqal (مقوس - ملوي)

ومن**שתר**(ŝāter)(اسود–أظلم) ←**שתרתר** ŝatartar(مسود– ضارب إلى السواد)[5].

وأيا ما كان الأمر فإن تلك المعطيات تدلنا على صحة ما ذهب إليه الكوفيون من أن الصيغ أشباه (ملّل – ململ) هي صيغ مرتبطة ببعضها البعض ، وربما لا نكون مخطئين إذا جزمنا أنهما صيغة واحدة متطورة إلى شكلين ، سواء بقانون المخالفة من (ملل إلى ململ) ، أو بنظرة تاريخية إلى الوراء قليلا لكثير من الصيغ التي كانت ثنائية ثم حدث لها مضاعفة الجذر .

***

[1]- O'Leary: 214
[2]- E.A.Wallis: An Egyptian Hieroo-lyphic dictionary , 398
[3] - E.A.Wallis: , 42
[4]- E.A.Wallis: , 116
[5]- المعجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم ،ط1 ، القاهرة 1988 ص87 .

ثالثا : اسم الفعل وعلاقته بالأصوات :

و ما يهمنا في هذا المقام هو تلك المجموعة من أسماء الأفعال التي ربطها ابن درستويه بحكاية الأصوات واختلف في دلالة بعضها مع ثعلب ، أما ما يخص حكاية الأصوات فهو ما نجده بالفعل في الساميات بصورة مشابهة لما هو في العربية ، يشير إليها برجشتراسر بأنها " تقارب ما سماه النحويون بالأصوات interjections ، وكثير منها يفيد أمرا نحو (مه) للزجر والمنع عن الشيء ، وقد يشتق من الصوت المؤدي معنى الأمر فعل مثال ذلك (نخ) صوت إناخة البعير اشتق منه فعل الإناخة فالأصوات من أشباه الجمل والأمر كان منها في الأصل غير أنه أدخل نظام الفعل بمنزلة واحد من أشكال المخاطب مع أنه لا يوجد فيه ضمير للمخاطب أصلا " [1] .

وهذه الأصوات ناتجة عن سمة تتميز بها العربية عند برجشتراسر " ومن مزايا العربية أنها مع تقييدها للكلام الهادي الاعتيادي لا يخلو بعض الكلام فيها من أثر الانفعال " [2] .

ويشير إلى مثل ذلك القس بولس الكفرنيس بأنه " لما كانت هذه الحروف تدل على انفعالات النفس وحركاتها كانت أنواعها متعددة بتعدد هذه الانفعالات والحركات ... وهي تقابل أسماء الأصوات والأفعال عند العرب وقد توسع الآراميون فيها فجعلوا بينها بعض الأسماء والأفعال وأجروها مجراها " [3] .

و إذا تطرقنا إلى بعض من هذه الكلمات الصوتية نجد إسماعيل د. أحمد عمايرة يشير إلى معاني (وَيْ) وأصل وضعها " وهي في أصل وضعها صوت فطري يمثل استجابة طبيعية لإحساس الإنسان بالحاجة إلى التعبير عما في نفسه فهي بمثابة تهيئة من المتكلم للسامع ، وقد غلب أن تكون الأداة مؤدية مع التنبيه وفي نبضة واحدة معنى مؤداه نوع من الإحساس السالب ، ولذا قيل : معناها التنبيه على الزجر ، كما أنها معناها التنبيه على الحض ، وهي تقال للرجوع عن المكرر المحذور ، وذلك إذا وجد رجل يسب

[1]- التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراسر 126
[2]- التطور النحوي للغة العربية ، 128
[3]- **غرامطيق اللغة الآرامية السريانية القس بولس الكفرنيس 434**

أحدا يوقعه في مكروه أو يتلفه أو يأخذ ماله أو يعرض به لشيء من ذلك فيقال لذلك الرجل : وي ، ومعناه تنبه وازدجر عن فعلك " [1] .

وأصل وضع (وي) فيما سبق يؤيد رؤية ابن درستويه في أنها حكاية صوت ، لكن تعدد معانيها بهذا الشكل لا تتوافق مع قصر ابن درستويه لمعناها على التلهف والتوجع أو الحض ، وإنكاره لثعلب في جعله إياها للزجر ، بل يشير د . عمايرة إلى معاني أخرى حيث " التقت (وي) في بعض معانيها ببعض معاني (وا) كالتعجب ومفهوم السلب الذي هو مع (وا) يعني الندبة ، ويمكن أن يلتفت هنا إلى (واها) فهي تفيد الندبة (والوهوهة) من (وهوه) صياح النساء في الحزن ، وكلها حكايات للصوت واستجابات فطرية" [2] .

ويضيف إلى (وي) معنى آخر وهو التندم " ومفهوم التندم في هذه الكلمة قديم ، فقد استخدمت (وي) في اللغات السامية بمعنى التألم ، وفي الأكادية (ya ، wa) ومعناها واحسرتاه " [3] . ومعنى (الإغراء) أيضا " في قولك ويها يا فلان لإغرائه بالشيء " [4] .

و هكذا تتداخل دلالات (وي) حسب المقام وكذلك بعض الكلمات الأخرى التي وردت عند ابن درستويه " فإذا تعجبت قلت : واها ما أطيبه ، ويظل مفهوم النداء ماثلا في هذه المادة (أيه) ، فأيَهْت بفلان إذا دعوته وناديته ، كأنك قلت له : أيها الرجل ولعل في هذا ما يدل على أن (أيها) حرف نداء " [5] .

و جعل د. إسماعيل عمايرة (واهًا) من أشكال (وَيْ) " وهي للتعجب ، والتفجع ، وقد أضيفت إليها الهاء في العبرية ، فوردت **אויה** (أويه) بالهاء للتحسر إلى جانب **אוי** (أوْيْ) وهي

[1]- بحوث في الاستشراق واللغة ، إسماعيل أحمد عمايرة 34
[2]- بحوث في الاستشراق واللغة ، 35
[3]- بحوث في الاستشراق واللغة ، 34
4- بحوث في الاستشراق واللغة ، 36
[5]- بحوث في الاستشراق واللغة ، 36

للتحسر أيضا " [1] . فاسم الفعل في اللغات السامية حسب ما سبق وحسب الشواهد التي سنعرضها " كلمة ليست فعلا ولا اسما حقيقيا . يعبر بها عن حركة نفس المتكلم إلى جهة مما يؤثر فيها " [2].

و من شواهد النقوش العربية القديمة في هذا المجال ورود ما يدل على استخدام حكاية الصوت كفعل في النقوش التمودية القديمة ومنها النقش التالي مكتوبا بالأحرف العربية :

" ل ش ج ا ب ن هـ ل س ب ن ر ف ض و أ ت ف أ س

و قراءته : بواسطة شجأ بن هلاس بن رافض (الذي) جاء وأس (رعي الغنم) .

حيث يقال : إسْ إسْ من زجَرَ الشاةَ ، أسّها يؤسّها أسّاً وأسّ بها أي زجرها ، وقال : إسْ إسْ و إسّ إسّ أي (زجر الغنم) "[3] .

و حروف الانفعال في اللغة السريانية حكاية أصوات كالعربية تماما ففيها حرفا الفرح والمدح هما : إيو أُؤ (ايو – آه) āh ’ – ayó ’ ، و حروف الندبة و التوجع ستة وهي : ’óh (آه ، واه ،يا) ، ’óḥ (آخ)، ó (آه) ، ī، (آه ، يا) لآأَوَؤ wah(أواه) ، yah(واه –آه) [4] .

و في العبرية اسم المفعول الصوتي **הא** hā (ها ، هو ذا ، خذ) ، مثل العربية ها الكتاب خذه ، وفي الآرامية **הא הא** [5] . وفي العبرية أيضا الألف و الهاء المضاعف **אהה** (آوه) وهي لفظة معناه تأوه وتألم [6] . وفيها أيضا **אהה** ā’hh بمعنى واحسرتاه ، و في الحبشية há’ .. [7]. ويرى جزينيوس رأيا

---

[1]- بحوث في الاستشراق واللغة ، 35

[2]- اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، إقليميس يوسف داود الموصلي 344 / الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ، 338

[3]- نقوش ثمودية من سكاكا (قاع فريحة والطوير والقدير المملكة العربية السعودية) دراسة تحليلية ، سليمان بن عبد الرحمن الذييب 95

[4]- انظر : غرامطيق اللغة الآرامية السريانية (صرف ونحو) ، القس بولس الكفرنيس 435 – 438 / اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، 435 / الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية ، يعقوب اوجين منا 338 / الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية ، داود الجبلي الموصلي 15 / البراهين الحسية على تقارض السريانية و العربية ، أغناطيوس يعقوب الثالث 75 - 76

[5]- انظر : دروس في اللغة العبرية ، ربحي كمال 555

[6]- المعاجم العبرية دراسة مقارنة ، سلوى ناظم 145

[7]- معجم مفردات المشترك السامي ، حازم علي كمال الدين 67

غامضا وهو أن **אוה** (آه) يفترض أن تكون من كلمتين ! ، ولكنها تشير أيضا مع كلمة مماثلة **אוי** إلى الفعل (يصرخ) تماما مثل الكلمة العربية (آه)[1] .

وإذا تخطينا الساميات إلى الحاميات وجدنا المصري القديم " قد سجل صيحاته المبهمة في حالة التعبير عن الفرح أو الحزن بصوت عال ، ومن أمثلة ذلك áhai - áhu - áh - - ahā áhahai -ah - ahhā - áhh -ahit [2] . و استخدم الأفعال الصوتية مثل ahi يذهب – يمشي [3] . ولعله من صوت (ها) للحث ، واستخدم aha أصواتا للذهاب أو للصعود أو للرؤية [4] . وللصياح والتعجب والمناحات استخدم أصوات ha - hat - hi [5].

بل إننا نجد هذا الأمر خارج نطاق الساميات والحاميات ففي الفارسية (من اللغات الهند أوروبية) نجد:

– هو ها : (جاء – هيش – صوت لسوق الحيوانات) – هه : نعم (حرف جواب)

هي : حرف نداء للتعجب والتحذير [6] . وفيها أيضا : هاي : حرف تعجب واستفهام وتأوه (آه – وي)[7].

وجدير بالذكر أن الكوفيين يرون أمثال هذه الكلمات أفعالا حقيقية والبصريون يرونها أسماء أفعال ويعرض د. مهدي المخزومي رؤية خاصة لهذه الطائفة من الألفاظ استقرلديه من خلالها أن الكوفيين كانوا على حق في عدها أفعالا حقيقية لأنها أفعال في دلالتها واستعمالاتها ، وأطلق عليها (الأفعال الشاذة الجامدة) يقول: " وكل ما جعل النحاة يختلفون فيها هو أنها وصلت إليهم على هيئات ليس في هيئات

[1] -W.Gesenius: Hebrew and English lexicon of the old testament , 17: انظر
[2] -E.A.Wallis: , 73-74
[3] -E.A.Wallis: , 8
[4] -E.A.Wallis: , 74
[5] -E.A.Wallis: , 438
[6]- كنز لغات قاموس تركي وفارسي عربي ، الشيخ فارس أفندي الخوري اللبناني 349
[7]- كنز لغات قاموس تركي وفارسي عربي ، 347

obeikandi.com

الأفعال ما يشبهها ، يضاف إلى ذلك أنهم رأوا بعضا منها يدخله التنوين ، وما هي في واقع أمرها – في أغلب الظن – إلا أفعال جامدة تخلفت عن سائر الأفعال فلم تتخذ لها صيغا ولم تتصرف تصرفها " [1] .

و يرد د. مهدي المخزومي على البصريين بقوله : " فأما التنوين الذي تمسك به البصريون في تسمية هذه الأفعال بأسماء الأفعال فلا يصح سندا لمزاعمهم ، لأن التنوين في نحو صهٍ ومهٍ ليس تنوين التنكير الذي هو من خصائص الأسماء ولكنه نون لحقت هذه الأبنية الثنائية لتكثيرها أو تثليثها بعد أن استقرت الوحدة الكلمية في الثلاثي ، ولذلك لم ينون منها ما كان كثير الحروف كهيهات وشتان وأواه ونزال وأمثالها [2] " .

ونحن نؤيد ما ذهب إليه دكتور مهدي المخزومي خاصة إذا صدقنا على أن منشأ هذه المجموعة من الألفاظ كان صوتيا بغرض الأمر والزجر ووالتألم والتفجع ... إلخ ، فهي بالفعل أفعال (صوتية) لم تنل حظها في التصريف والتطور وتوقفت عند مرحلة نشأتها الأولى .

وبعدما رأينا توافق مذهب ابن جني الذي أشرنا إليه مع بعض نظريات وضع اللغة المرتبطة بالأداء الصوتي ، وكيف صدقت المقارنة بالساميات كثيرا من هذه الآراء التي تربط الأصوات والبنية الصرفية بقيم دلالية خاصة ، نستطيع أن نجزم أن مثل هذه الطائفة من أسماء الأفعال ما هي إلا ركام لغوي يؤيد تلك النظريات السابقة . ولكن لا يجوز تعميم آثار الصوت السابقة في البنية والدلالة ، وفي أحسن الأحوال نقول بصوابها فيما وردت فيه من شواهد.

[1]- في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي 202 - 203
[2]- النحو العربي نقد وتوجيه ، 203